وقال الواقدىّ : أجمع أصحابُنا أن أول المسلمين استجابَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة .

***

قال ابن إسحاق : ثم كان أول ذكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدَّق بما جاءه من الله علىٌّ بن أبى طالب ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة يصلّيان سرًّا ثم إن علىَّ بن أبى طالب جاء بعد ذلك بيوم فوجدهما يصليان فقال على : ما هذا يا محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعَث به رُسلَه فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وكُفْرٍ باللات والعُزَّى . فقال على : هذا أمرٌ لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاضٍ أمرًا حتّى أحدِّث به أبا طالب . وكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُفْشى عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمرُه ، فقال له : يا علىّ إذا لم تُسْلم فاكتم هذا . فمكث علىٌّ تلك الليلة ، ثم إن الله تبارك وتعالى أوْقَع فى قلب علىٍّ الإسلامَ فأصبح غاديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فقال : ماذا عرضتَ علىّ يا محمد : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد .

ففعل علىٌّ رضى الله عنه وأسْلَم ، فمكث علىّ يأتيه على خوفٍ من أبى طالب وكتم إسلامَه ولم يظهره .

قال مجاهد : وكان مما أنْعَمَ الله على علىٍّ أنه كان فى حِجْر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ، لِمَا أراد الله به من الخير ، وذلك أن قريشا أصابتهم أزمةٌ شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه : وكان من أيْسَر بنى هاشم : يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة فانطلقْ فخفِّفْ عنه من عياله[1] فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه ، فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لى عُقَيْلا فاصنعا ما شئتما .

(١) ت ، م : من هذه العيال .

الباب الحادى والعشرون

فى نقض الصحيفة الظالمة

قال ابن إسحاق : ثم إنه قام فى نقض الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب جماعةٌ من قريش ، ولم يُبلَ فيها بلاءً أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث رضى الله عنه . وذلك أنه كان ابن أخى نَضْلة ابن هاشم بن عبد مناف لأُمه ، فكان هشام لبنى هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف فى قومه فكان يأتى ليلاً بالبعير قد أَوْقَره طعاماً بالليل وبنو هاشم وبنو المطلب بالشِّعْب حتى إذا أقْبَله فَمَ الشِّعبِ قَلع خِطَامه من رأسه ثم ضرب على جَنْبه فيدخل عليهم الشعبَ ، ويأتى بالبعير قد أَوْقره بُرًّا فيفعل مثل ذلك .

قال ابن سعد : وكان أَوْصَل قريش لبنى هاشم حين حُصِروا فى الشعب ، أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعاماً ، فعلمت بذلك قريش فمشوا إليه حين أصبح فكلَّموه فى ذلك فقال : إنى غيرُ عائد لشىء خالَفكم . فانصرفوا عنه . ثم عاد الثانيةَ فأدخل عليهم ليلاً حِمْلا أو حِمْلين فغالظَتْه قريشٌ وهمَّت به. فقال أبو سفيان بن حرب : دَعُوه ، رجلٌ وصَل أهلَ رَحِمه ، أمَا إنى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أَحْسنَ بنا .

ثم إن هشاما مشى إلى زهير بن أبى أُمية رضى الله عنه ، وأُمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا زهير أرضيتَ أن تأكل الطعامَ وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالُك حيث قد علمتَ لا يُبَايَعون ولا يُبْتاع منهم ، ولا يَنْكحون ولا يُنْكَح إليهم ؟ أمَا إنى أحلف بالله أنْ لو كانوا أخوالَ أبى الحكَم بن هشام ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابَك إليه . فقال : ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمتُ فى نَقْضها . قال : قد وجدتَ رجلاً . قال : من هو ؟ قال : أنا : فقال له زهير : ابْغِنا رجلاً ثالثا .

فذهب إلى المطْعِم بن عدىّ فقال له : يا مطعم أرضيتَ أن يَهْلك بَطْنان من بنى عبد مناف وأنت شاهدٌ على ذلك موافق لقريش فيه ؟ أمَا والله لئن مكَّنتموهم من هذه لتجدنَّهم

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : روى سفيانُ الثَّوْرى عن عاصم عن زِرّ عن ابن مسعود قال : كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوه فى أصل نخلة . وتقدم عنه أنهم كانوا خمسةَ عشر . وفى رواية أنهم كانوا على ستين راحلة وتقدم أن اسم سيدهم وردان . وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثنى عشر ألفا . ففى هذا الاختلاف دليل على تَكْرار وِفَادَتهم على النبى صلى الله عليه وسلم بمكة والمدينة كما سيأْتى بيان ذلك هناك .

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/٢٦
والخصائص الكبرى ١/٣٤٢ .

الثالثة

وبأنَّهُ يُحشَرُ في سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ[1] .

الرابعة

وبأنه يحشر على البراق[2] .

الخامسة

وبأنه يؤذّن باسمه فى الموقف[3] .

السادسة

وبأنَّهُ يُكْسَى في الموقِفِ أَعْظَمَ الحُلَلِ مِنَ الجَّنةِ ﷺ[4] .

السابعة

وبأنه يقوم على يمين العرش ﷺ[5] .

الثامنة

وبأنه أعطى المقام المحمود[6] .

---

(١) أخرج ابن المبارك ، وابن أبى الدنيا ، عن كعب قال : «ما من فجر يطلع إلا يهبط سبعون ألف ملك يضربون قبر النبى ﷺ بأجنحتهم ، ويخفون به ، ويستغفرون له ، ويصلون عليه حتى يمسوا ، فإذا أمسوا عرجوا ، وهبط سبعون ألف ملك كذلك حتى يصبحوا ، إلى أن تقوم الساعة فإذا كان يوم القيامة خرج النبى ﷺ فى سبعين ألف ملك» «الخصائص الكبرى» ٢/٢١٧ .

(٢) وأخرج الطبرانى والحاكم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الأنبياء على الدواب وأبعث على البراق ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة فينادى بالأذان محضا ، وبالشهادة حقا حتى إذا قال : « أشهد أن محمدا رسول الله » شهد له المؤمنون من الأولين والآخرين فقلت ممن قبلت وردت على من ردت «الخصائص الكبرى» ٢/٧ ٢

(٣) أخرج ابن زنجويه فى « فضائل الأعمال » عن كثير بن مرة الحضرمى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى توافى به المحشر » قال معاذ وأنت تركب العضباء يارسول الله ، قال : لا ، تركبها ابنتى ، وأنا على البراق ، اختصصت به من دون الأنبياء يومئذ ، ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادى على ظهرها بالأذان ، فإذا سمعت الأنبياء وأممها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله » قالوا : ونحن نشهد على ذلك » راجع : « الخصائص الكبرى » ٢/٢١٧ .

(٤) وأخرج أبونعيم عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « أول من يكسنى إبراهيم ثم يقعد مسقبل العرش ثم أوتى بكسوتى فألبسها فأقوم عن يمينه مقاما لايقومه أحد غيرى ، يغبطنى فيه الأولون والآخرون » « الخصائص الكبرى » ٢/٢١٧ .

(٥) عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة أعطى حلة من حلل الجنة ، ثم أقوم عن يمين العرش ليس لأحد من الخلائق أن يقوم ذلك المقام غيرى » . « الخصائص الكبرى » ٢/٢١٧ .

(٦) قال تعالى ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ سورة الإسراء من الآية ٧٩ . واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك المقام المحمود :

يدخل على الجنة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، ومثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني إسرائيل »[2].

وَلَا يشكل عَلَى ذَلِك مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ ، عَنْ بُرَيْدَةَ[3] رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لِبِلَالٍ : « بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجَنَّةِ ؟ مَا دَخَلْتُ الجَنَّةَ قَطُّ ، إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ ... »[4] الحديث رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَدُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي المَنَامِ ، كَمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعًا : « رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ ، فَسَمِعْتُ خَشْخَشَةً[5]، فَقِيلَ : هَذَا بِلَالٌ .. الحديث فَعَرَف أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي المَنَام .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من « دلائل النبوة » لأبي نعيم ٦٦ الحديث رقم ٢٧ من الفصل الرابع .

(٢) « دلائل النبوة » لأبي نعيم ٦٦ حديث ٢٧ وأخرجه « الترمذي » رقم ٣٦٢٠ بسند آخر وقال : حديث غريب ، قال الذهبي في ترجمة عبد السلام بن عجلان ، قال أبو حاتم يكتب حديثه ، وتوقف غيره في الاحتجاج به ، ثم قال : عن بدل بن المحبر عن عبد السلام بن عجلان عن أبي يزيد المدني عن أبي هريرة فذكره ثم قال : أخرجه أبو صالح المؤذن في مناقب فاطمة . وانظر : « الخصائص الكبرى » ٢/٢٢٥ .

(٣) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان ابن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأسلمي من المهاجرين كنيته : أبو عبد الله ، لحق النبي ﷺ قبل قدومه المدينة فقال : يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء ثم حل عمامته وشدها في رمح ومشى بين يدي النبي ﷺ يوم قدم المدينة ، وكانت كنيته أبو سهل وقد قيل أبو ساسان .

انتقل إلى البصرة وأقام بها زمانا ثم خرج إلى سجستان ثم خرج منها إلى مرو في إمارة يزيد بن معاوية ومات بها .

له ترجمة في : « تاريخ الصحابة » ٤٣ ، ٤٤ ت ١٠٨ و « الثقات » ٣/٢٩ و « الطبقات » ٤/٢٤١ ، ٨/٨ و « الإصابة » ١/١٤٦ .

(٤) « مسند » الإمام أحمد ٥/٣٥٤ ، ٣٦٠ وتكملة الحديث « أمامي إني دخلت البارحة الجنة ، فسمعت خشخشتك فأتيت على قصر من ذهب مرتفع مشرف فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من العرب ، قلت : أنا عربي لمن هذا القصر ؟ قالوا لرجل من المسلمين من أمة محمد ، قلت : أنا محمد لمن هذا القصر ؟ قالوا لعمر بن الخطاب فقال رسول الله ﷺ : « لولا غيرتك يا عمر لدخلت القصر » فقال يا رسول الله ما كنت لأغار عليك قال وقال لبلال : بم سبقتني إلى الجنة ؟ قال : ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين فقال رسول الله ﷺ بهذا . وانظر : « مشكاة المصابيح » للتبريزي ١٣٢٦ و « تهذيب تاريخ دمشق » لابن عساكر ٣/٣١٠ وكنز العمال ٣٦٨٧٧ .

(٥) الخشخشة : حركة لها صوت كصوت السلاح « النهاية في غريب الحديث » ٢/٣٣ خشخش وأخرجه « الترمذي » ٥/٦٢٠ كتاب المناقب ٥٠ باب ١٨ برقم ٣٦٨٩ قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح غريب . ومعنى هذا الحديث : أني دخلت البارحة الجنة ، يعني رأيت في المنام كأني دخلت الجنة هكذا روى في بعض الحديث ويروى عن ابن عباس أنه قال : رؤيا الأنبياء وحي .

(٣) ذكره ابن كثير عن أبي نعيم فى « دلائل النبوة » بإسناد متصل ، عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى: « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم » قال : « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث » ثم قال ابن كثير : وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثله . وهذا أثبت وأصح . سيرة ابن كثير ١/٣١٩ .

فراها شجر وردٍ أسود فيفتح عن وردة كبيرة طيبة الرائحة مكتوب فيها بالـ
أبيض : لا إلٰه إلاَّ الله محمد رسول الله . أبو بكر الصديق . عمر الفاروق . فشككْت فى ذلك وقلت إنَّه مَعْمُول ، فعَمَدْت إلى حبّة لم تفتح فرأيت فيها كما رأيت فى سائر الورد ، وفى البلد منه شىء كثير وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة[٢] .

وفى مسالك الأبصار ذكر ابن سعيد المغربى أنه أخبره من دخل الهند رأى فى غَيْضة بنواحى بالكين ، وهى قصَبة الهند ، شجرة عظيمة لها وردٌ أحمر فيه مكتوب ببياض : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ونقل القاضى عن السمْطَاوِىّ رحمه الله تعالى أنه شاهَد فى بعض بلاد خراسان مولودا ولِد على أحد جنبيه مكتوب : لا إلٰه إلا الله ، وعلى الآخر : محمدٌ رسول الله .

---

(١) ابن العديم : عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة العقيلى ، من أصحاب التاريخ والحديث ولد بحلب سنة ٥٨٨ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ ، وكتابه هذا : « بغية الطلب فى تاريخ حلب » كبير جدا اختصره فى كتابه الذى سماه زبدة الحلب فى تاريخ حلب » طبع منه جزء . انظر فوات الوفيات ١٠١/٢ والنجوم الزاهرة ٢٠٨/٧ وشذرات الذهب ٣٠٣/٥ .

(٢) الخصائص الكبرى ٢٠/١ عن ابن عساكر وابن النجار فى تاريخهما وهذا الخبر من الغرائب التى لا ترجع إلى أصل صحيح ، وليس فيها مغزى يستحق الاحتفاء به ، فإن دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الثابتة الصحيحة تغنى عن هذا التزيد والميل إلى التعجب .

الهَدْمة الأُولى ، فدُعِى رجل فقرأه فإذا فيه : عبدى المنتخَب المتوكِّل المنِيب المختار ، مَوْلِده بمكة ومُهَاجَره طَيْبة ، لا يذهب حتى يقيم السُّنَّة العوجاء ويشهد أن لا إله إلا الله ، أمته الحمَّادون يحمدون الله بكل أَكَمة يأتزرون على أوساطهم ويُطَهِّرون أطرافهم[1] .

وروى البيهقى عن عمر رضى الله تعالى عنه قال : بلغنى فى قول الله تعالى : (وكان تَحْتَه كَنْزٌ لهما[2]) أن الكنز كان لَوْحا من ذهب مكتوب فيه : عجبًا لمن أيقَن بالموت كيف يفرح ، عجبًا لمن أيقن بالحساب كيف يضحك ، عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يحزن ، عجبًا لمن يرى الدنيا وزوالَها وتقلُّبها بأَهلها كيف يطمئن لها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله[3] .

ورَوى البزار عن أبى ذر نحوه ، ولهذا تتمة فى باب شرح أسمائه صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

---

(١) الوفا ١/١٤٦ .

(٢) سورة الكهف : ٨٢ .

(٣) الخصائص الكبرى ١/٢٠ نحوه عن أبى ذر ثم قال السيوطى : ورد مثله عن عمر وعلى وأخرجهما البيهقى وعن ابن عباس أخرجه الخرائطى فى كتاب « قمع الحرص » .

الباب العاشر

فى بعض منامات رئيت تدل على بعثته صلى الله عليه وسلم

رَوى أَبو نُعَيمْ من طريق أَبى بكر بن عبد الله بن أَبى الجَهْمِ عن أَبيه عن جده قال : سمعت أَبا طالب يحدِّث عن عبد المطلب قال : بينما أَنا نائم فى الحجْر رأَيت رؤيا هالتنى ففزعت منها فزعًا شديدا فأَتيت كاهنة قريش [وعلىَّ مِطْرف خَزّوجمَّتى تضرب منكبى[1]] فقلت لها إنى رأَيت الليلة كأَن شجرةً نبتَت قد نال رأْسُها السماء وضربت بأَغصانها المَشْرِق والمغرب وما رأَيت نورا أَزْهَر منها ، أَعظم من نور الشمس بسبعين ضِعفا ، ورأَيتُ العربَ والعجمَ لها ساجدين وهى تَزْداد كلَّ ساعةٍ – عِظَما ونورا وارتفاعا ، ساعةً تَخْفَى وساعةً تظهر ، ورأَيت رَهْطا من قريش قد تعلقوا بأَغصانها ورأَيت قومًا من قريش يريدون قَطْعها فإذا دَنَوا منها أَخَذهم شابٌّ لم أَر قط أَحسن منه وجهًا ولا أَطيبَ منه رِيحًا فيكسر أَظْهُرهم ويَقْلع أَعينهم، فرفعتُ يدى لأَتناول منها نصيبا فلم أَقْدر فقلت : لمن النصيبُ ؟ قال : النصيب لهؤلاء الذين تعلَّقوا بها . وسبَقوك . فانتبهتُ مذعورا . فرأَيت وجه الكاهنة قد تغيَّر ثم قالت : لئن صدَقتْ رؤياك لَيخرجنّ من صُلبك رجلٌ يَمْلك المشرقَ والمغرب ويَدين له الناس . فقال عبد المطلب لأَبى طالب : لعلك أَن تكون [عم][2] هذا المولود .

فكان أَبو طالب يحدِّث بهذا الحديث والنبىُّ – صلى الله عليه وسلم – قد خرج ويقول : كانت الشجرة والله أَبا القاسم الأَمين . فيقال له : أَلا تؤمن به ؟ فيقول السُّبّة والعار[3] .

وذكر ابن ظَفَر أَن مَرْثَد بن عبد كَلاَل رأَى رؤيا أَخافته وأَذْعَرته وهالَتْه فى حال منامه فلما انتبه نَسِيها حتى ما يذكر منها شيئا ، ثم إنه أَحضر الكُهّان فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول : أَخبرنى عمّا أُريد أَن أَسأَلك عنه . فيجيبه الكاهن بأَنه لا علم عنده عنها .

---

(١) من دلائل النبوة لأبى نعيم .

(٢) من الوفا .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ٦٠ ، والوفا ١/٧٩ ، والخصائص ١/٩٨ .

أساس إبراهيم » ،

فذلك الذى حمل ابنَ الزبير على هَدْمه . قال يزيد ـ هو ابن رومان : وشهدت ابنَ الزبير حين هدمه وبناه فأدخل فيه من الحِجْر ، وقد رأيت أساس إبراهيم حجارة كأسنمة الإبل[٢].

قال جَرِير بن أبى حازم : فقلت له ـ يعنى ليزيد بن رومان : أين موضعه ؟ قال : أريكه الآن . فدخلت معه الحِجْر فأشار إلى مكان وقال : هاهنا . قال جرير : فحَزَرت من الحِجْر ستة أذرع أو نحوها .

تنبيه : قال المحب الطَّبَرى رحمه الله تعالى : وقد اعترض بعض المُلْحِدة ، فقال : كيف يسوِّدُ الحجرَ خطايا أهل الشرك ولا يبيضه توحيدُ أهل الإيمان ؟ .

والجواب عنه من ثلاثة أوجه : الأول : ما تضمنه حديث ابن عباس الذى رواه الجندى : أن الله ـ تعالى ـ إنما طمَس نوره بالسواد ليَسْتر زينة الجنة عن الظَّلَمة وكأنه لما تغيَّرت صفته التى كانت كالزِّينة له بالسواد كان ذلك السواد له كالحِجَاب المانع من الرؤية وإن رُئى جِرْمه ، إذ يجوز أن يُطْلق عليه غير مَرْئى ، كما يطلق على المرأة المستترة بثوب أنها غير مرئية .

الثانى : أجاب به ابن حبيب رحمه الله ـ تعالى ـ فقال : لو شاء الله ـ تعالى ـ لكان ذلك ، وما علمتَ أيّها المعترض أن الله ـ تعالى ـ أجرى العادة بأن السواد يَصْبغ ولا يُصْبَغ ، والبياض ينصبغ ولا يَصْبُغ .

والثالث : وهو مُنْقاس ، أن يقال : بقاؤه أسود ـ والله تعالى أعلم ـ : إنما كان للاعتبار ، وليُعْلَم أن الخطايا إذا أثَّرَت فى الحجَر فتأثيرها فى القلوب أعظم .

قال الحافظ فى المطالب العالية : موقوف صحيح الإسناد ، زاد تلميذه الحافظ السَّخَاوى فى المقاصد الحَسنة فقال : وله شواهد ، منها ما رواه الدَّيْلمى عن أنس مرفوعاً : الحجر الأسود يمين الله فى الأرض . فمن مسح يده على الحجر فقد بايع الله تعالى ألاَّ يعصيه ، ومنها : ما رواه الحارث بن أبى أسامة والخطيب وابن عساكر عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما . مرفوعاً : « الحجَر يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده » .

قال الإمام الخَطَّابى رضى الله تعالى عنه : معنى أنه يمين الله فى الأرض أن من صافحه : أى الحجر ـ كان له عند الله عهد ، وجرت العادةُ بأن العهد يَعْقده المِلك بالمصافحة لمن يريدُ مولاته والاختصاص به ، فخاطبهم بما يعهدونه .

وقال فى النهاية : هذا كلام تمثيل وتخييل ، وأصله أن الملك إذا صافح رجلاً قبَّل الرجلُ يده ، فكان الحجر الأسود لله بمنزلة اليمين للملك حيث يُسْتَلم ويُلْثَم .

وقال المحب الطبرى : معناه أن كل مِلك إذا قَدِم عليه الوافد قبَّل يمينه ، فلما كان الحاجُّ أولَ ما يَقْدَم يُسَنُّ له تقبيله نُزِّل منزلة يمين الملك ولله المثل الأعلى .

---

(١) أخرجه بكتابه الثقات (١/ ١٢٢ ط مكة) ، ولفظه : إن الحجر الأ

وسلم قال : « أحبُّوا العرب لثلاث : لأنى عربىّ ، والقرآن عربى ، وكلام أهل الجنة عربى »[٤] .

النوع الثالث : فى أن بغض العرب مفارقة للدّين .

عن سلمان رضى الله تعالى عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا سَلْمان لا تُبْغضنى فتفارق دِينك » قلت : يا رسول الله كيف أُبْغضك وبك هدانى الله ؟ قال : تُبْغض العرب فتبغضنى .

---

(١) ت م : وكان .
(٢) ت م : ما أنا .
(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، وصحيح الترمذى ٢/٢٨١ .
(٤) قال ابن أبى حاتم : قال أبى : هذا حديث منكر ، علل الحديث ٢/٣٦٨ .
(٥) ذكره السيوطى فى اللآلئ المصنوعة ١/٤٤٢ ، وقال : قال العقيلى : منكر لا أصل له ، قال المؤلف : يحيى يروى المقلوبات ، ثم نقل عن الذهبى بعد أن تعقب طريق الحديث أنه قال : وأظن الحديث موضوعاً .
وقال ابن أبى حاتم فى كتابه علل الحديث ٢/٣٣٦ : قال أبى : هذا حديث كذب .

رواه الترمذى[١] وقال حسن غريب .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال جبريل قلبت مشارق الأرضِ ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد ، ولم أجد بَنى أبٍ أفضل من بنى هاشم » .

رواه الطبرانى والبيهقى وابن عساكر .

قال الحافظ فى أماليه : لوامح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن .

وعن على رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى لم يُصبْنى من نكاح الجاهلية شىء ما ولدنى إلاَّ نكاحٌ كنكاح الإسلام » .

رواه العدنىّ فى مُسْنده والطبرانى وأبو نعيم[٣] وابن عساكر .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ولدنى من سفاح الجاهلية شىء ما ولدنى إلا نكاح كنكاح الإسلام »

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٢٧٨ ، وطبقات ابن سعد ١/٣٢ القسم الأول .

(٢) طبقات ابن سعد ١/٣١ (القسم الأول) ونصه : « إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٤ ، وقد أورده ابن كثير فى سيرته ١/١٩٠ ، ثم قال : « هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح » .

والذى رجّحه الإمام العلامة الشريف النسّابة أبو على محمد بن أسعد بن على بن حسن الجَوّانى بفتح الجيم والواو المشددة وكسر النون وقال : إنه أصح الطرق وأحسنها وأوضحها وإنه رواية شيوخه فى النسب كالشيخ شرف الدين بن أبى جعفر البغدادى المعروف بابن الجوّانية ، وأبى الغنائم الزيدى والبطحاوى والسِّجْزى وأبى بكر محمد بن عبدة الفَقْعَسىّ وغيرهم وهى عهدة أكثر النسابين الأجلاء وهى رواية عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وعليها استقر رأى أكثر أهل العلم . انتهى . وتبعه على ذلك الحافظ شرف الدين الدمياطى والقاضى عز الدين بن جماعة وأبو الفتح والعلامة بدر الدين حسن بن حبيب الحلبى فى سيرهم : أن عدنان بن أدّ بن أدَد بن اليسَع بن الهَميسع ابن سلامان بن نَبْت ابن حمْل بن قيدار بن إسماعيل .

---

(١) ت م : وإنما .

عنه أن رجلا قال : يارسول الله أين أبي ؟ قال : فى النار . فلما قفى[1] دعاه فقال : إن أبي وأباك فى النار[2] .

قال الشيخ رحمه الله تعالى فى مسالك الحُنفا فى والدَى المصطفى: قوله : « إن أبي وأباك فى النار » لم يتفق عليه الرواة ، وإنما ذكره حماد بن سلمة ، عن ثابت . وقد خالفه معمر عن ثابت ، فلم يذكر: إن أبي وأباك فى النار. ولكن قال له : إذا مررت بقبر كافر فبشِّره بالنار . وهذه اللفظة[3] لا دلالة فيها على والده صلى الله عليه وسلم بأمرٍ البتة . وهو أثْبَت من حيث الرواية . فإن مَعْمَرًا أثبت من حمَّاد . فإن حمادًا تُكلِّم فى حفظه ، ووقع له أحاديث مَنَاكير ذكروا أن رَبيبه دسَّها فى كتبه . وكان حمَّاد لا يحفظ فحدَّث بها فوَهِم . ومن ثم لم يخرِّج له البخارى شيئا ، ولا أخرج له مسلم فى الأُصول إلاَّ من روايته عن ثابت .

وقد قال الحاكم فى المدخل : ما خرَّج مُسْلم لحمَّاد فى الأُصول إلا من حديثه عن ثابت وقد أخرج له فى الشواهد عن طائفة ، وأمّا مَعْمَر فلم يُتَكلم فى حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثْبت .

ثم وجدنا الحديث وردَ من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل رواية مَعْمَر ، عن ثابت ، عن أنس .

فروى البزَّار والطبرانى والبيهقى من طريق إبراهيم بن سعد ، عن الزُّهْرى ، عن عامر ابن سعد ، عن أبيه ، أن أعرابيا ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أبي ؟ قال : فى النار . قال : فأين أبوك ؟ قال « : حيثما مررتَ بقبر كافر فبشِّره بالنار » .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين . فتعيَّن الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره .

وقد زاد الطبرانى والبيهقى فى آخره قال : فأسلم الأعرابى بعد وقال : لقد كلَّفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ! ما مررتُ بقبر كافر إلا بشَّرْته بالنار .

---

(١) ت م : فلما نمى .

(٢) صحيح مسلم (١/١٣٢ ط استامبول) كتاب الإيمان ، باب بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار .

(٣) ط : وهذا اللفظ .

وجمعٌ من العلماء لم تَقْوَ عندهم هذه المسالك فأبقوا حديث مسلم ونحوه على ظاهرها من غير عدول عنها بدعوى نسخ ولا غيره ، ومع ذلك قالوا : لا يجوز لأحد أن يذكر[1] ذلك .

قال السُّهيلى فى الروض الأنف بعد إيراده حديثَ مسلم : وليس لنا نحن أن نقول ذلك فى أبويه صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تُؤْذوا الأحياء بسبِّ الأموات » . وقال تعالى : « إنالذين يُؤْذون الله ورسوله » الآية .

وسئل القاضى أبو بكر بن العربى أحد أئمة المالكية رحمه الله تعالى عن رجل قال : إن أبا النبى صلى الله عليه وسلم فى النار . فأجاب : بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى : « إن الذين يؤذون اللهَ ورسولَه لَعَنهم اللهُ فى الدُّنْيَا والآخِرَةِ »[2] قال ولا أذَى أعظم من أن يقال عن أبيه : إنه فى النار .

ومن العلماء من ذهب[3] إلى قول خامس وهو الوقف . قال الشيخ تاج الدين الفاكهانى فى كتابه « الفجر المنير » : الله أعلم بحال أبويه صلى الله عليه وسلم . وقال الباجِىّ فى شرح الموطأ : قال بعض العلماء : إنه لا يجوز أن يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم بفعل مُباح ولا غيره ، وأما غير [illegible]

(٤) هذا الخبر الذى ينسب إلى ابن اسحق لا يمكن الإطمئنان إليه ، ويمكن نقد متنه ، وخاصة أنه من حيث الإسناد لا قيمة له ، فليس متصلا ولا مرفوعا ، فهو من جهة يناقض ما يثبت فى الأحاديث الصحيحة من طهارة آبائه وشرفهم ، ولا يعقل أن منهم من يرضى بالزنا أو يعرضه وهو حديث عهد بعرس !والله أعلم حيث يجعل رسالته . كذلك فإن الشعر الوارد فى هذا الخبر وكيك مصنوع وليس ثابتا عند أحد من أهل العلم بالشعر . وكل ما فى الأمر أن بعض الوضاعين أراد أن يثبت فضيلة للنبى صلى الله عليه وسلم فأخطأ فى الوسيلة وناقض الصحيح . ويدل على اصطناع هذا الخبر أن المرأة التى تذكر فيه تسمى فى بعض الروايات : « ليلى العدوية » وفى بعضها « الخثعمية » ، وفى بعضها فاطمة بن مر » ، وفى بعضها « أم قتال » وفى بعضها : « كاهنة من أهل تبالة مشهورة » . وذلك كله يسقط الخبر ويدل على اضطرابه . ويدل على ذلك قول بن اسحق فى سياقه لخبر : « فيما يزعمون » .

قال السهيلى رحمه الله تعالى : أهلُ الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، وكان لعشرين مضت منه[٣]

وقال الذهبىّ فى تاريخ الإسلام : نظرت فى أن يكون صلى الله عليه وسلم ولد فى ربيع وأن يكون ذلك فى العشرين من نيسان فرأيته بعيدا من الحساب يستحيل أن يكون مولده فى نيسان إلا أن يكون مولده فى رمضان .

وقال الإمام أبو الحسن الماوردى رحمه الله تعالى : وافق شهر ربيع من شهور الروم العشرين من شباط . انتهى . ويقال : شباط[٤] بالإعجام والإهمال .

قال الدِّمياطى رحمه الله تعالى : فى بُرْج الحمَل . قال فى النُّور : وهذا يحتمل أن يكون فى أوائل نيسان وأن يكون فى آذار . ثم قال السُّهيلى . وولد بالغفر من المنازل وهو مولد النبيين ، ولذا قيل :

خير منزلتين[٥] كانت فى الأبد هو ما بين الزبانى[٦] والأسد

أنه صلى الله عليه وسلم لمّا ولد عطس ، بعد مراجعة أحاديث المولد من مظانّها كالطبقات لابن سعد ، والدلائل للبيهقى ، ولأبى نعيم ، وتاريخ ابن عساكر على بسطه واستيعابه ، وكالمستدرك للحاكم . وإنما الحديث الذى روته الشفّاء أم عبد الرحمن بن عوف يعنى السابق آخر الباب فيه لفظ يشبه التشميت . لكن لم يصرح فيه بالعطاس ، والمعروف فى اللغة أن الاستهلال صياح المولود أول ما يولد فإن أريد به هنا العطاس فيحتمل . وحَمْل القائل على الملَك ظاهر .

وقال العلامة شمس الدين الجَوْجَرِىّ رحمه الله تعالى فى شرح الهمزية : الاستهلال وإن كان هو صياح المولود أول ما يولد إلا أن حمله على العطاس هنا قريب ، كحمل القائل على الملَك .

وروى ابن سعد عن موسى بن عبيدة رحمه الله تعالى عن أخيه قال : لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع على الأرض وقع على يديه رافعا رأسه إلى السماء وقبض قبضة من تراب ، فبلغ ذلك رجلا من لِهْب فقال لصاحبه[٣] : انجه[٤] لئن صدَق الفأل ليَغْلبنَّ هذا المولودُ أهلَ الأرض[٥] .

وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم بسند قوى عن حسّان بن عطية ـ رحمه الله تعالى : ـ ورضى عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا ولِد وقع على كفيه وركبتيه شاخصا[٦] ببصره إلى السماء[٧] . زاد السُّهَيْلى : مقبوضة أصابع يده[٨] مشيرا بالسبَّابة كالمسبِّح بها .

---

(١) سورة المائدة ١٥/١٦ .
(٢) ط : وروى .
(٣) ص ت م : لصاحب .
(٤) كذا فى ط ت م . وفى ص : أنجد .
(٥) طبقات ابن سعد ١/٩٧ (القسم الأول)
(٦) ط : شاخصا إلى السماء .
(٧) طبقات ابن سعد ١/٦٤ (القسم الأول)
(٨) الروض ١/١٠٥ وعبارته : أصابع يديه .

فى انفلاق البُرْمة حين وضِع صلى الله عليه وسلم تحتها

روى أبو نُعَيْم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان فى عهد الجاهلية إذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الإناء لا ينظرون إليه حتى يصبحوا[1] فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرَحوه تحت بُرْمة فلما أصبحوا أتوا البُرْمة فإذا هى قد انفلقت اثنتين وعيناه صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، فعجبوا من ذلك[2] .

وروى ابن سعد بسندٍ رجاله ثقات أثبات عن عكرمة رحمه الله تعالى ـ مرسلا ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وضعته أُمُّه وضعتْه تحت بُرْمة فانفلقت عنه ، قالت: فَنظرتُ إليه فإذا هو قد شق بصره ينظر إلى السماء[3] .

فى مناغاته صلى الله عليه وسلم للقمر فى مهده وكلامه فيه

روى الطبرانى والبيهقى عن العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله دعانى إلى الدخول فى دِينك أمارة لنبوتك ، رأَيتُك فى المهد تناغِى القمرَ وتشير إليه بإصبعك فحيث ما أَشرت إليه مال . قال : كنت أُحدِّثه ويحدِّثنى ويُلْهينى عن البكاء وأَسمع وَجْبته حين يسجد تحت العرش .

قال الإمام أَبو عثمان الصابونى رحمه الله تعالى فى كتابه المائتين[1] : هذا حديث غريب الإسناد والمتن فى[2] المعجزات حسن[3] .

المناغاة : المحادثة . وناغت الأم صبيها لاطفتْه وشاغلته بالمحادثة والملاعبة . قال الحافظ فى الفتح وفى سِيَر الواقدى أَن النبى صلى الله عليه وسلم تكلَّم فى المهد أَوائل ما ولد . وذكر

قال الحافظ : وتبين من مجموع الروايات أن رواية المروزى : أمهق ليس بالأبيض» مقلوبة : على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذى ليس بياضه فى الغاية ولا سُمْرته ولا حمرته . فقد نُقل عن رُؤْبة أن المهَق[٢] خُضْرة الماء فهذا التوجيه على تقدير ثبوت الرواية وقد جاء فى عدة طرق أنه صلى الله عليه وسلم كان أبيض.

* * *

الباب الرابع عشر

فى نكاحه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأرضاها

وسبب ذلك ما حدَّثها به غلامها مَيْسرة وما رأته من الآيات وما ذكره ابن إسحاق فى المبتدأ قال : كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فى المسجد فاجتمَعْن يومًا فيه فجاءهن يهودىّ فقال : يا معشر نساء قريش إنه يوشك فيكن نبىّ فأيكن استطاعت أن تكون فراشًا له فلتفعل . فحصَبه النساء وقبَّحنه وأغلظن له . وأغضت خديجة على قوله ولم تَعْرض فيما عرض فيه النساء ووقَر ذلك فى نفسها ، فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رأته هى قالت : إن كان ما قاله اليهودى حقا ما ذلك إلا هذا .

واختلفوا فى سبب الخطبة . فعند أبى سعد النيسابورى فى « الشَّرَف » أن خديجة رضى الله تعالى عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : اذهب إلى عمك فقل له : عجِّل إلينا بالغداة . فلما جاء قالت له : يا أبا طالب ادخل على عمرو عمى فكلِّمه يزوِّجْنى من ابن أخيك محمد بن عبد الله . فقال أبو طالب : يا خديجة لا تستهزئى . فقالت : هذا صنع الله . فقام أبو طالب مع عشرة من قومه . فذكر الحديث .

وعند الزهرى فى سيرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة ليتحدث عندها فلما قام من عندها جاءت امرأةٌ فقالت : خاطبًا يا محمد ؟ فقال : كلا . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة إلا تراك كُفْئا لها . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبا لخديجه مستحييا منها .

وعند يعقوب بن سفيان فى تاريخه عن عمار قال : مررت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بأخت خديجة فنادتنى فانصرفت إليها ووقف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أمَا لصاحبك هذا من حاجة فى تزويج خديجة ؟ فقال عمار : فأخبرته . فقال : بلى

لَعَمْرى . فذكرت ذلك لها ، فقالت : اغدوا علينا إذا أصبحنا . فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرةً وألبسوا خديجة حُلَّة . وذكر الحديث .

وعند ابن إسحاق فى المبتدأ أنها قالت له : يامحمد ألاتتزوج ؟ قال : ومن ؟ قالت : أنا قال : ومن لى بك ، أنت أيِّم قريش وأنا يتيم قريش . قالت : اخطبنى . وذكر الحديث

وعنده فى السيرة : فلما استقر عندها ذلك ، أى ما أخبرها به ميسرة وما رأته وكانت امرأة حازمة شريفة لَبِيبة مع ما أراد الله تعالى بها من الكرامة والخير ، وهى يومئذ أوْسط قريش نسَبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، وكلُّ قومها حريص على نكاحها لو يَقْدر عليه ، عرَضتْ نفسَها على النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون : إنى رغبت فيك لقرابتك وسِطَتك فى قومك وأمانتك وحُسْن خُلقك . فلما قالت له ذلك ذكره لأعمامه . وذكر الحديث .

وروى ابن سعد عن نفيسة بنت مُنْيَة قالت : كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جَلْدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهى يومئذ أوسط قريش نسَباً وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكلُّ قومها كان حريصا على نكاحها لو قَدَر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتنى دَسِيسا إلى محمد بعد أن رجع فى عِيرها من الشام فقلت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال : ما بيدى ما أتزوج به . قلت : فإن كُفيتَ ذلك ودُعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تُجيب ؟ قال : فمن هى ؟ قلت : خديجة . قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : قلت : علىّ . قال : فأنا أفعل . فذهبت فأخبرتها فذكرت الحديث . قالت : فأرسلتْ إليه أن ائت ساعة كذا وكذا . فحضر وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسَد ليزوجها[1] .

وعند ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مع عمه حمزة . وعند النيسابورى فى الشَّرف أن أبا طالب خرج مع عشرة من قومه حتى دخلوا على عمها فخطبها فزوَّجه . فقال عمرو بن أسد : هذا الفَحْل لا يُقْدَع أنْفه .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١٣١ (ط بيروت) .

قال ابن هشام : أَصْدَقها عشرين بَكْرة . وقال البلاذُرىّ والدمياطى : اثنتى عشرة أُوقية ونَشًّا[1] . قال المحب الطبرى : ذَهبًا .

وذكر أبو الحسين بن فارس وغيره رحمهم الله تعالى أن أبا طالب خطب يومئذ فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزَرْع إسماعيل وضئضىء مَعدّ وعنصر مُضَر ، وجعلنا حَضنة بَيْته وسُوَّاس حَرَمه وجعل لنا بيتا مَحْجُوجا وحرَمًا آمنا وجعلنا حُكَّام الناس ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لايُوزَن به رجلٌ إلا رجح به شرَفاً ونُبْلا وفضلا وعَقْلا وإن كان فى المال قِلاًّ[2] فإن المال ظل زائل وأَمْر حائل وعارية مُسْتَرْجعة ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ، وقد خطب إليكم رغبةً فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق حكمكم عاجله وآجله اثنتا عشرة أُوقية ونشًّا .

فقال عمرو بن أسد عمها : هو الفحل لايُقْدَع أنفه . وأنكحها منه . ويقال : إن ورقة هو الذى قاله .

قال ابن إسحاق فى المبتدأ : وكان تزويجه لها بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما عقب صفر سنة ست وعشرين .

قال الزهرى : وقال راجزٌ من أهل مكة فى ذلك :

لاتَزْهدى خَدِيجُ فى محمد نَجْم يضىء كما أضاء الفَرْقدُ

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ما تقدم من أن عمها هو الذى زوَّجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذكره أكثر علماء أهل السير . قال السُّهيلى : وهو الصحيح ، لما رواه الطبرى عن جُبير ابن مُطْعِم وابن عباس وعائشة كلهم قال : إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خويلد كان قد هلَك قبل الفِجَار . ورجَّحه الواقدى وغلَّط من قال بخلافه .

---

(١) أنساب الأشراف ١/٩٧ . قال : والأوقية أربعون درهما .

(٢) فى الأصول : قل . ولعله تحريف .